بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ المجلس (٠١٠)

"الباب الثاني في ذكر البربر

القبائل البربرية الكبرى - برابرة وطن الجزائر ومراكزهم به - ج ١"[١].

[٤ - القبائل البربرية الكبرى]

البربر أمة ذات قبائل وبطون وعشائر لا ينالها الإحصاء. فإنهم كانوا يعمرون أفريقية من آخر إيالة[٢] مصر إلى المحيط الإطلانتيقي، ويتصلون من ناحية الصحراء بأرض السودان[٣].

---

[١] إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى نبينا محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فحديثنا مع كتاب "تاريخ الجزائر في القديم والحديث" للشيخ العلامة مبارك بن محمد الميلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وآخر ما ذكرناه عنوانا ذكره في أوصاف البربر وأخلاقهم.

[٢] الإيالة كالولاية أو المحافَظة.

[٣] القبائل جمع قبيلة، وهذا اللفظ هو الأشهر عند العرب، فالعرب قبائل، والقبيلة هي التي تضم الجنس الذين ينتهون إن الجد الأكبر، ويتفرع عن القبائل البطون فهو دون ذلك، والأفخاذ، ثم العشائر، والبيوتات، وهكذا.

وذكر بعض مؤرخي الفرنجة أن البربر في منتصف القرن السادس للميلاد خسروا في حروبهم من البيزنطيين[1] خمسة ملايين من الأنفس، هذا مع أنه لم يحارب البيزنطيين جميع البربر كما هو معلوم[2].

وعلاوة على ذلك فقد جاء العرب عقب هذه الخسارة الفادحة ونزلوا على بقية البربر فألفوهم على غاية العزة والمنعة وذاقوا من بأسهم[3] ما يحل عزائم غير العرب أولي الاتحاد المتين في ذلك الحين[4].

لعل هذا الضرب من الإجمال في عظمة البربر وكثرتهم يقيم لي عذرا في عدم تتبع قبائل هذا الجيل، فلنكتف بذكر القبائل الكبرى التي تعد أصولا لقبائل عديدة. ومتى سنحت[5] لنا فرصة- أثناء مرورنا بادوار التاريخ- بزيادة تفصيل ودعا المقام إلى ضرب من البسط فإننا نشرح ما يحتاج القارئ إلى شرحه ونبين ما يفيد المطالع إن شاء الله[6].

---

[1] من الرومان.

[2] لأنه كما ذكرنا هذه الأرض كان فيها قبل البربر جنس، ثم جاء البربر وبعد ذلك توالت عليها الهجرات، وسيأتينا باب في دخول الفينيقيين، وهم كنعانيون، وبعد ذلك سيذكر روما، والرومان، ويذكر في ذلك أيضا البيزنطيين، فتوالت على هذه الأرض الكثير من الأجناس.

[3] أي شدتهم وقوتهم.

[4] يعني كذلك بعد هذه المعارك بين البربر والبيزنطيين والرومان على إثرهم جاءهم العرب، ونزلوا على بقية البربر فألفوهم، أي وجدوهم، ألفه أي وجده، ولها معان أخرى، المقصود ألفه أي وجده على كذا وجدوهم على غاية العزة والقوة والمنعة، يمنعون أنفسهم من عدوهم.

وجد العرب من البربر قوة وشدة، على القول بأن البربر ليسوا من العرب، وإلا فقد سبق معنا من الأقوال ما يدل على أن لهم انتهاء إلى العرب وهذا ما رجحه غير واحد.

[5] أي سمحَتْ، وزنا ومعنى.

[6] يعني سيذكر عموم القبائل ولا يفصّل، وإذا مرّ في الكتاب ما يقتضي التفصيل فصّل.

اتفق النسابون[1] من العرب والبربر وتابعهم المحققون من الإفرنج- دون المتعثرين في شبه الألفاظ[1]- على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان هما برنس ومادغيس (ويلقب مادغيس بالأبتر)، ويقال في شعوب برنس: البرانس، وفي شعوب مادغيس الأبتر؛ البتر.

---

[1] مفرده النسّاب، النسّاب المشتغل بالأنساب بتتبعها والعلم بها أصولا وفروعا، وأن هذا النسب ينتهي إلى كذا، وهذا النسب ينتهي إلى كذا، هذا يسمى علم النسب، وقد ألف فيه العلماء قديما وحديثا، عمود النسب، وعلم الأنساب ألف فيه غير واحد، وجاء في الحديث المرفوع عن النبي ﷺ وجاء أيضا موقوفا عن عمر، فالحديث المرفوع صححه بعض أهل العلم (اعرفوا أنسابكم تصلوا به أرحامكم) [أخرجه الطيالسي (٢٨٨٠)، والحاكم (٣٠١)، والبيهقي (21091)صححه الألباني السلسلة الصحيحة ٢٧٧ وقال : صحيح على شرط مسلم] قد صححه بعض العلماء، أن يعرف الإنسان نسبه، يعني مع من يلتقي في أصوله الكبرى، يعني يمكن أن يلتقي الإنسان مع آخر في جده الثاني، أو الثالث، أو الرابع، أو الخامس، وهو لا يدري والحقيقة أنه من نسب واحد يعني بينهما عمومة، يعني يصير بينهما عموم، وهذا له أثره حتى من الناحية الفقهية، مثلا الجد السادس أو السابع جاء بأبناء، والأبناء لهم أبناء، والأبناء لهم أبناء، فتصل إلى الجيل السادس فتكون بينهما عمومة -أبناء عم- فلربما قد اندثرت جهة واحدة ولا وجود لها، وقد خلفوا تركة، فهل يقال: ليس لهم وارث؟ هذا غير صحيح، بل لهم وارث، أبناء عمومة يلتقون معهم في الجد الرابع أو الخامس أو السادس أو السابع.

وهذا له أثر من الناحي الفقهية، لأن العلماء يقولون إذا لم يترك الميت وارثا إلى أين يصير المال؟ من العلماء من يقول: يصير إلى بيت المال، ويقدمون بيت المال على ذوي الأرحام، ومن العلماء من يقدمون ذوا الأرحام على بيت المال، يقولون: ذوو الأرحام أولى، وهم الذين لا يرثون لا بالفرض ولا بالتعصيب، يعني يصلون إلى الميت بالأنثى، كابن البنت، والأخوال والخالات والعمات ونحو ذلك، فقد يقال لهذا: ليس له ورثة، والأصل لو تتبعنا لوجدنا له ورثة، يعني أبناء عمومة من جهة، هذا معنى (اعرفوا أنسابكم تصلوا به أرحامكم)، فيكون لك به رحم.

وهذا كان قديما معروفا، ولما جاء الكافر الغاشم المستدمر مشى على طريقة فرّق تسد، فقطع الأنساب بعضها عن بعض، حتى يُضعف، وهذه طريقة مستعملة من طرف الغربيون الكفار، وهم الآن يستعملونها لإضعاف المسلمين، فيأتون إلى أي بلد فيحيون نعرات وعصبيات حتى تحيي في أولئك الناس عصبية معينة، ونزعة معينة، فيصيرون يدعون إليها، ويطلبون أن يستقلوا ببلد فالبلد الواحد يصير على ثلاثة بلدان، وينتهي أمره كما سار في المثل العربي (**أُكلتُ يوم أُكل الثور الأبيض**)، يذكرون قصة قديمة في غابة يعيش فيها أسد وثور أسود، وثور أبيض، وكلهم يأكلون من ثروة الغابة، فالأسد لا يستطيع أن يهجم على الثورين، فجاء إلى أحدهما -الثور الأسود- وقال له: الثور الأبيض هذا يضيق علينا في الغابة، فلو نتعاون ونقضي عليه، فراوده حتى استجاب وقضيا على الثور الأبيض، وبقي الأسد مع الثور الأسود وجها لوجه، فلما أراد الأسد أن يقضي عليه قال (**أكلت يوم أكل الثور الأبيض**)، فسار مثلا في العرب هكذا يفعلون الآن،

واختلفوا بعدُ هل هذان الجذمان لأب واحد: فعن بن حزم[2] - وهو من نقدة النسابين[3] - أنهما لأب واحد، والجميع من نسل كنعان بن حام[4]، وعن بعض نسابه البربر أن البرانس فقط من نسل كنعان، وأما البتر فهم بنو بر ابن قيس بن عيلان بن مضر[5].

وذكر رين قول من قال إن البربر كلهم من بر وأيد ذلك بأن لفظ برانس كلمة مركبة من ثلاث كلمات وهي: ابير = بر، ان = اله، اس = له = بر اله له.

وهذا الضرب من فلسفة رين اللفظية يذكرنا فلسفة العوام في كلمة فرعون، إذ يقولون: كان اسمه "عون" وفر عن أمه فلما سئلت عنه قالت: فر عون، فعلق به هذا اللفظ وعرف به[6].

يحيون نعرات، في أرض العراق يحيون الكردية، وفي مصر أحيوا النوبية والقبطية، وعندنا يحيون الشلوحية والشاوية والترقية والمزابية والبربرية والأمازيغية ...الخ قصد الغرب الكافر أن يمزق الدولة والشعب الواحد إلى أطراف ودويلات فيسهل عليه القضاء عليها كما فعلوا في الأندلس، كانت الأندلس دولة عظمى، وكان الغرب يتمنون أن يأتي أبناءهم للدراسة عندهم، ولما تقووا وأرادوا القضاء على هذه الدولة العظيمة، جزّؤوها إلى دويلات، وصاروا يتآلفون ويتواعدون مع دويلة على دويلة أخرى، فيتفقون حتى يقضوا على دويلة أخرى، فإذا قضوا عليها داروا وعادوا على هذه الدولة وقضوا عليها حتى زالت هذه الدولة العظيمة التي دامت ثمانية قرون وربع باسطة حضارتها على هذه الأرض العظيمة أرض الأندلس.

فرّق تسد، فرّقنا هذا المستدمر فلا أحد يعرف نسب الآخر، ولو أنك بحثت وذهبت إلى مسقط رأسك أو رأس أبيك وتبحث لعلك تحصّل أصولا، ذهبت أنا إلى منطقة الجد في "البيض" فبحثت فوجدت ابن عمي من الجد الرابع، وهكذا لو بحثت تجد، ربما لا تلتقي معه في الأب أو الجد أو أب الجد أو جد الجد، ممكن تلتقي في جد جد الجد، ولا شك ولا ريب أن هذا يعتبر من بني عمومتك.

[1] يقصد هنا بالمحققين ليس مثل هذا الذي مرّ معنا غسال ورين، الذي أراد أن يجعل البربر جاؤوا من أوروبا.

[2] الإمام أبو محمد علي بن حزم من علماء المسلمين، وهو المعروف على مذهب الظاهرية، ومن علماء الاندلس، كان شافعي المذهب أولا، ثم صار إلى المذهب الظاهري، وهو من علماء القرن الخامس توفي سنة ٤٥٨هـ له كتب كثيرة ومنها في الفقه، من أشهرها كتاب المحلى، وهو مطبوع في ١١ مجلد، تحقيق أحمد شاكر $.

[3] له كتاب في الأنساب أيضا.

[4] كنعان من العرب، وهم الفينيقيون كما سيأتينا.

[5] يعني يرجعون إلى اليمن، وهي حمير.

[6] هذه فلسفة لا معنى لها.

ومنهم من يدعي أن يبارين من الأمم الأوروبية وأنهم هم الذين يسميهم ابن خلدون البرانس. وهذا من البعد بمكان. ذكر ابن خلدون في بطون مكناسة قبيلة "ابا يرون" فلو أعملنا المشابهات اللفظية مطية لإدراك حقائق الأنساب لقلنا: إن يبارين هي إبايرون وكان ذلك أقرب من دعوى أنها البرانس[1].

والقائلون بأن البتر من سلالة بر بن قيس يروون في التحاق بر بالبربر روايات وأشعارا لا أحب أن أطيل بجلبها فليس شيء منها بمطمئنة له النفس، ومن كان له ذوق سليم أدرك أثر الصنعة في تلك الأشعار.

والصحيح عند حذاق النسابين أن البرانس والبتر جميعا من ولد مازيغ ابن كنعان بن حام[2].

أما البرانس فيتفرعون إلى فروع كثيرة تجمعها سبعة أصول كبيرة[3] وهي: كتامة، عجيسة، أوربة، صنهاجة، إزداجة، أوريغة[4]، مصمودة.

قال ابن خلدون: وزاد سابق بن لسليم المطماطي وغيره ثلاث قبائل آخر وهي: لمطة، هسكورة، كزولة (ويقال لها أيضا جزولة).

وأما البتر فيجمع شعوبهم أربع قبائل كبرى وهي:

ضريسة، لواتة، نفوسة، اداسة[5].

---

[1] يعني ليس فقط كون فيه تشابه في الحروف يقال: هذا من هذا.

[2] يعني يرجعون إلى كنعان، والفينيقيون كنعانيون.

[3] هذه قبائل ولا يزال بعضها موجود، حتى بعض المناطق تسمى بها، كتامة معروفة، وعجيسة هذه قبيلة عريقة، ومنها أبو حفص الزموري العجّيسي له كتاب في شرح نظم في الصرف للمكودي، شرحه أبو حفص الزموري $ وهو من عائقة مجيسة، ونسبه ينتهي إلى الأشراف، شرح في كتاب شرحه "البسط والتعريف في شرح نظم التصريف"وهذا من أهل العلم وأهل الفضل، وله رسائل أخرى أيضا، قريب الوفاة وإن كنا لا نعرفه جميعا، أظن توفي سنة ١٩٨٣م أو ١٩٨٥م تقريبا، ولعل أول كتاب اشتريته له في نحو ١٩٩٠م تقريبا وهو كتاب "البسط والتعريف في شرح نظم التصريف للمكودي"

[4] معروفة منطقة في القبائل. ومصمودة أيضا في الشرق، لا تزال وينسبون إليها "المصمودي"

[5] لواتة ونفوسة أيضا موجودة أسماؤها في الشرق.

ومن هذه القبائل أو بعض بطونها من يتنصل من البربرية ويعتزى إلى العرب. ولكنا اتبعنا الجمهور في عدها جميعها بربرية، ومتى دعانا المقام إلى زيادة بسط في أنساب بعض القبائل فإننا نفيد القارئ بمبلغ علمنا في نسب تلك القبيلة والله المسؤول في بلوغ المأمول[١].

[١] يقول إن القبائل لا تعتزي إلى العرب، ولا تنسب، لكن البحث قائم وكثير منهم من يرى انتساب البربر إلى العرب، أو إلى بعض بطونها، وسبق مع المؤلف نفسه أن البربر جاؤوا من هجرات من أرض الشرق، وبداية الحضارات وبداية الدنيا كانت بهذه الأرض.

[٥ - برابرة وطن الجزائر ومراكزهم به]

لم يعن المؤرخون اليونانيون واللاتينيون بتفصيل قبائل البربر وبيان مراكزهم. وإنما كانوا يميزونهم بأوطانهم: يقولون في أهل نوميديا: نوميد، وفي أهل موريطانيا: مور، وفي أهل جيتوليا: جيتول. وهكذا في أهل بقية أوطان البربر.

ولعل ذلك يرشدنا إلى أنهم- وإن كان منهم من استولى على الوطن البربري قرونا طوالا- لم يمتزجوا بالبربر امتزاجا يؤهلهم لهذا الضرب من البيان وينير أمامهم سبيل هذا النحت من البحث[١].

ولما جاء العرب امتزجوا بالبربر بسرعة تضاهي سرعة فتوحاتهم، فأخذوا عن نسابة البربر تفصيل قبائلهم، وجاسوا خلال ديارهم، فعرفوا مركز كل قبيلة منهم[٢].

---

[١] يعني هؤلاء اليونانيون واللاتينيون وإن كانوا قد سكنوا هذه الأرض لكن لم يبينوا مواطن قبائل البربر.

[٢] في الحقيقة سرعة الامتزاج هذه والتداخل بعضهم رآها كدليل يستأنس به على أن البربر ينتهون إلى العرب، الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي علامة الجزائر، له كلام فيه هذا المعنى، ذكره في جريدة البصائر الجزء الثاني ص٥٧، يقول **(إن عروبة هذا الشمال الإفريقي جرت في مجاريها طبيعية مناسبة لم يشبها إكراه، وإنما هي الروح عرفت الروح، والفطرة سايرت الفطرة، والعقل أعدى العقل وكأن هذه الأمم التي تغطي هذه الأرض قبل الاتصال بالعرب كانت مهيأة للاتصال بالعرب، أو كأن وشائج من القربى كانت مخبوءة في الزمن فظهرت لوقتها وكانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها)** يعني يقول هذا التمازج بين البربر ودخول العرب لمّا جاء العرب، هذا كأنه من باب تعارف الأرواح، الروح عرفت الروح، وفطرة سايرت فطرة، وعقل أعدى عقلا يعني لسلاسته وانقياده له، وكأن هذه الأمم تغطي هذه الأرض قبل الاتصال كان مهيئة له بها، وكأن بينها وشائج جمع وشيجة وهو الرابط، روابط من القربى **(كانت مخبوءة في الزمن فظهرت لوقتها وكانت نائمة في التاريخ فتنبهت لحينها)** هذا كلام الشيخ البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ صورت كلامه من جريدة البصائر، قد يرجع إليه.

وهذا يستأنس بعضهم به للقول بأن الأمازيغ أو البربر عرب عاربة.

كان وطن ليبية أو المغرب أو أفريقية الشمالية وطنا للبربر وقبائلهم، وكان بعض القبائل مختصا بجهات من شرق هذا الوطن أو غربه أو وسطه، وبعضها تعددت بطونه وكثرت شعوبه، فانتشرت تلك القبيلة بشعوبها وبطونها على الوطن كله، وكان لها في كل قسم من أقسامه بطن أو شعب[١].

ونحن نذكر الآن ما كان من تلك القبائل أو البطون والشعوب مستوطنا بالوطن الجزائري مع بيان الجهات التي اختص بها كل قبيل حسبما كان في أول الاستيلاء العربي[٢].

تقدم أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان: برنس ومادغيس، وأن الجذم الأول يشتمل على عشر قبائل عظمى والثاني على أربع.

وقد اختص من تلك القبائل العظمى بسكنى الوطن الجزائري دون سواه ثلاث قبائل: كتامة، عجيسة، ازداجة.

وكان بهذا الوطن أيضا بطون وشعوب من بقية القبائل الأخرى ما عدا قبيلتين من قبائل البرانس وهما: هسكورة، كزولة، فإنهما استوطنتا المغرب الأقصى، وما عدا قبيلتين من البتر وهما: نفوسة واداسة فإنهما اقتصرتا على سكنى طرابلس[٣].

فأما كتامة فهي من أكثر قبائل البربر عددا وأشدهم قوة وأطولهم باعا في الملك وهي إحدى قبائل البرانس عند نسابة البربر[٤]، ونسابة العرب يقولون: أنها من قبائل حمير تركها بالمغرب إفريقش أحد ملوك التبابعة[٥].

---

[١] يعني قبائل تختلف قلة وكثرة، فبعض القبائل قليلة العدد، تنتشر في مكان دون آخر شرقا وغربا ووسطا، وقبائل أخرى فروع وعوائل كبيرة كثيرة العدد فتجدها منتشرة في البلد كله شرقا وغربا ووسطا.

[٢] يعني أول ما قدم العرب، لأنه لما قدم العرب امتزجوا مع البربر، وسمح لهم ذلك تفاصيل البربر وقبائلهم، ومعرفة مواقعهم فكتبوا في ذلك -أي نسّابتهم-.

[٣] التي هي صنهاجة، ضريسة ولواتة سكنت طرابلس.

[٤] هذا سيأتي ذكره أكثر وأكثر وبيان ما لهذه القبائل من جهود في الباب الأول من الكتاب الثاني عند دخول العرب، في غزو العرب لإفريقيا وتأسيس إمارتهم فيها.

[٥] تُبّع هذا لقب يطلق على من يملك اليمن.

ولهذه القبيلة بطون كثيرة المعروف منها عند ابن خلدون ثمانية عشر بطنا. ومن تلك البطون ما يتفرع إلى فروع وأفخاذ[1].

وحوالي القرن العاشر الهجري اختلطت كتامة بمصمودة وامتزجت بها فعفا رسمها واندرست تلك الأسماء التي عرفها ابن خلدون.

من أسماء تلك البطون التي بقيت لعهدنا هذا جميلة[2].

ومما ذكره ابن خلدون من تلك البطون مصالة. والظاهر أنها مزالة التي صارت اليوم علما لقرية بعد إضافة كلمة فج إليها فيقال فج مزالة. وهي تبعد عن ميلة غربا بأزيد من ثلاثين ميلا[3].

ومن الأفخاذ الصغيرة التي ذكرها ابن خلدون بنو تليلان. وعين مركزهم بقوله: "أهل الجبل المطل على القل" ما بينه وبين قسنطينة[4].

ولم يزل بنو تليلان معروفين بهذا الاسم إلى اليوم ومركزهم لهذا العهد بجبال بين قسنطينة والقل كما قال ابن خلدون.

وكتامة بجميع بطونها وأفخاذها كانت تقطن الساحل البحري من بونة[5] إلى بجاية وتتقدم في داخل الوطن إلى حدود جبل أوراس.

---

[1] وهذا الذي نجده شرقا وغربا حتى جنوبا.

[2] بطن جميلة.

[3] يعني تسمى بهذا الاسم، وهو اسم بطن من البطون، البطن دون الفخذ، عندنا القبيلة -الجد الأكبر- تفرع عنه جدود، فكل جد يتفرع عن الأصل بطن، ومن يتفرع عن البطن الفخذ، وهذا موجود عند العرب، إذا قرأت في أنساب العرب تجد قبيلة كذا، من بطن كذا، من فخذ كذا، من عشيرة كذا.

[4] هذا بطن وفخذ من هذه البطون التي تنتهي إلى كتامة.

[5] بونة هي عنابة، وفيها كثير من العلماء من هذه المنطقة، فيها أحدهم له تأليف على الموطأ "البوني"، ومنهم الذي توفي قريبا قبل سنتين اسمه عبد الحميد بوتمجلت، هذا كان يدرّس في المعهد بالرياض في الخمسينات مع الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، كان زميلا له، وهذا محمد بن إبراهيم آل الشيخ كان المفتي في الحجاز قبل ابن باز، وهو شيخه رَحِمَهُ اللَّهُ، وممن درس عند عبد الحميد بوتمجلت الشيخ عبد الله الجبرين، واذهب واقرأ في ترجمة عبد الله الجبرين في مشايخه

ومن مدنها بلزمة، باغاية، سطيف، قسنطينة، جيجل، القل، السكيكدة ومدن أخرى.

وأما عجيسة[1] فهي قبيلة عظيمة من قبائل البرانس. كان لها بين البربر كثرة وظهور كان موطنهم شرق صنهاجة وجنوب زواوة[2] بجبال المسيلة وقلعة عجيسة التي صارت من بعد حاضرة آل حماد[3].

وقد انكسرت شوكتهم في عهد آل حماد وزاحمهم الهلاليون[4] وأزاحوهم من مواطنهم فتفرقوا اوزاعا في قبائل البربر منهم من ذهب إلى تونس ومنهم من ذهب إلى المغرب الأقصى.

وفي أرض بني تليلان اليوم قرية بدوية تدعى عجيسة فلعل أهلها من بعض أفخاذ عجيسة ساكنوا بني تليلان[5].

الذين أخذ عنهم اللغة والنحو والصرف تجد الشيخ عبد الحميد بو تمجلت، وله كتب ومنها "العناية بصحيح البخاري" رتبه في مجلدين، ودخل البلد في نهاية السبعينات تقريبا وكان يدرّس، كان في الجانب التعليمي، ثم أهمل ولا يعرفه أحد، وتوفي ولم يذكر بشيء لا من قريب ولا من بعيد، وهكذا يفعل الضعف بأهل العلم، فالله المستعان.

وهذا الشيخ عبد الحميد بو تمجلت -بالمناسبة- الفضل يذكر لأصحابه، وأنا عرفته من طرف أحد الطلاب، قال لي سمعت أن هناك شيخ في عنابة له ترتيب لصحيح البخاري، فذهبت لأسأل عنه ولا يعرفه، قال: فلما نزلت في عنابة -وعنابة بطولها وعرضها- أسأل، فنزل في مكان ذهب إلى المسجد صلى وسأل، لا أحد يعرفه، ثم في مسجد آخر سأل لا أحد يعرفه، فقال أحدهم: هناك شيخ كبير في دكان اسأله، فسأله فقال: هناك شيخ كبير يسكن في العمارة الفلانية، قال: فذهبت ولما طرقت الباب قال: من؟ فذكر وقال: جئت لرؤيتك يا شيخ، قال: ففتح لي الباب وقال: كيف وصلت إلي؟! يعني مضى عليه نحو ٤٠ سنة ولا يعرفه أحد، عالم من العلماء، فالله المستعان.

واذهب وابحث في التراجم واكتب البوني وترى كم يطلع لك من العلماء من مدينة بونة -عنابة-

[1] يقول الشيخ الزموري هذا أن العجيسة ينتهون إلى الأشراف، في مقدمة كتابه هذا -الذي يبحث عنه يجده- "**البسط والتعريف**" أنا عندي الكتاب ولكن لا تصل إليه إلا بشق الأنفس.

[2] هذا الإسم الموجود الذي كان من قديم، وارجع إلى القرون: الخامس، والسادس، والسابع، والثامن، فلان فلان الزواوي، نزعوا الزواوة وأتوا بكلمة أخرى، واللبيب بالإشارة يفهم والتدبير من وراء البحر.

[3] آل حماد هذه دولة قامت وكان لها نفوذها.

[4] بنو هلال من العرب دخلوا هذه الأرض، وسيأتي الكلام عليهم مابين القرن الرابع والخامس هجري تقريبا.

[5] عجيسة مشهورون عندنا في سطيف، إذا ذهبت هناك سمعت هذا الاسم كثيرا.

وأما ازداجة (ويقال أيضا وزداجة) فقبيلة عظيمة من قبائل البرانس "وكثير من نسابة البربر يعدونهم في بطون زناتة. وقد يقال: إن ازداجة من زناتة. وزداجة من هوارة. وأنهما بطنان مفترقان. وكان لهم وفور وكثرة"[1]

ومركزهم بالغرب الأوسط بنواحي وهران منه.

وفي القرن الرابع للهجرة أضعفتهم الفتن فذهبت ريحهم وانتقل أهل الرياسة منهم إلى الأندلس[2].

وأما أوربة فقد كان بعضها بالغرب الأقصى وبعضها بالغرب الأوسط - على ما يفهم من حديث ابن خلدون عنهم- فليست من القبائل المختصة بوطن الجزائر.

وهي ذات بطون كثيرة عد ابن خلدون منها سبعة. وكانت لعهد الفتح العربي[3] أكثر القبائل البربرية عددا وأشدها قوة وأقواها بأسا وكانوا مستوطنين شمال الزاب[4]. وذكر البكري منهم طائفة حوالي بونة وفي أوائل الفتح العربي أيام عبد الملك ابن مروان دحر الجيش العربي هذه القبيلة إلى المغرب الأقصى[5].

وأما صناهجة فقبيل عظيم من قبائل البرانس. وزعم بعضهم: أنها ثلث البربر ونسابة العرب ينسبونهم إلى عرب اليمن، وأنهم تركهم إفريقش بالمغرب لما قفل من غزوه. ويقول مرسي وبيروني: أنهم من المور

---

[1] زناتة وهوارة عبارة عن بطون، وسيأتي لها ذكر.

[2] يمكن أن تبحث في الأنساب فتجد لك نسبا بأرض الأندلس وبأرض المغرب، وتونس وليبيا وغيرها.

[3] يعني لما كان عهد الفتح العربي قريبا قبله كانت هذه أوربيا أكثر القبائل البربرية عددا وأشدها قوة أقواها بأسا.

[4] الزاب والزيبان في بسكرة ويمينها ويسارها، وهذه المنطقة كثيرة العلماء، وأول شارح للبخاري يقال إنه من الزاب، الداودي ويقال من مسيلة أيضا. ومن قدامى الشارحين والمؤلفين في القراءات أبو القاسم الهذلي من علماء القرن الرابع الهجري إمام في القراءات، درّس هاهنا ورحل، ودرّس في المشرق وانتهى به الأمر إلى إيران، ودرّس بها ومات هناك $. فمنطقة الزاب أو يقال لها الزيبان، منطقة واسعة وكثيرة العلماء، أبو بكر جابر الجزائري منها، ومحمد العيد آل خليفة الشاعر المعروف منها.

[5] أي دفع بها للمقاومة التي وقعت بينهم، وقعت مقاومة فدفع بها إلى المغرب الأقصى، وبعد ذلك دخلوا في الإسلام لاشك -كما سيأتي-.

والجيتول. وهم ذوو بطون عديدة[1]. نقل ابن خلدون عن بعض مؤرخي البربر أنها تنتهي إلى سبعين بطنا.

ومواطنهم بالصحراء إلى السودان والمغرب الأقصى، وبالغرب الأوسط على ساحل البحر من عمالة الجزائر ووهران ويتقدمون في داخل الوطن إلى سهول شلف ينتهون غربا بمصب وادي شلف في البحر ويختلطون شرقا بزواوة في سهول حمزة. وذكر البكري أوزقور شمال المسيلة فقال: "وهي عين عذبة باردة عليها شجرة عظيمة. وهذا آخر حد بلد صهناجة".

ومن قبائل صنهاجة المعروفة إلى اليوم بنو مزغنة أصحاب مدينة الجزائر قبلا وذكر ابن خلدون منها لمدونة[2] ولها مدينة بهذا الاسم. ولعلها لمدية، وأهلها إلى اليوم ينسبون إليها بلفظ لمداني[3].

---

[1] صنهاجة منها عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

[2] ويقال أيضا لمتونة بالتاء.

[3] الذي من مدية يسمونه لمداني. وهي أيضا كثيرة العلماء، وفيه شيء خاص بخلاف المناطق الأخرى، وهو أنه ينتشر فيها الفقه المالكي والحنفي، ولا يزال لهم إلى الآن مفتي مالكي، ومفتي حنفي، والمفتي الحنفي توفي ليس ببعيد $، منتشر فيهم الفقه الحنفي لأن إفريقيا قبل دخول المذهب المالكي كان منتشرا فيها فقه الأوزاعي، ثم بعده جاء الفقه الحنفي ثم بعد ذلك انتشر الفقه المالكي، وكان أول من أدخله علي بن زياد، وعلي بن زياد من إفريقيا من تونس، وكان قد تفقه بالفقه الحنفي، وذهب إلى العراق ولقي هناك فقهاء العراق، وأخذ عنهم الفقه، وأظن منهم محمد بن الحسن وكان يسأله وعلم عنده قيمة الإمام مالك، فرجع بعد ذلك وعاد إلى المدينة وتفقه، ودخل إلى هذا البلد، وكان السبب في نشر الفقه المالكي في هذه الأرض، ومن ثم انتشر الفقه المالكي، وارتكز وصار هو الفقه المنتشر في هذه البلاد.
ومن أعظم أسباب انتشار هذا الفقه -حتى نعرف الحقائق على الحقائق دون تعريف- وارتكازه في هذه البلاد كونه فقه أثري حديثي سلفي مرتكز على أصول السلف على عقيدة السلف، فجيء إلى هذه الأرض بفقه مالك المرتكز على الأثر، على الكتاب والسنة، وعلى فقه علماء المدينة، من كان يسكن المدينة؟ الصحابة، فقههم أخذه التابعون، التابعون نقلوا ذلك الفقه إلى الأتباع، وعنهم أخذ الإمام مالك $، فكان من أعظم أسباب انتشاره هاهنا، وتمركزه واستقراره هذا الأصل العظيم الذي يراد منه لتزوير والتشويه والتبديل فيقولون: إن العقيدة الأشعرية هي المنتشرة في هذه الأرض وهذا غير صحيح أبدا، أول دخول لهذه العقيدة الأشعرية لهذه الأرض، إنما كان نهاية القرن الرابع وبداية القرن الخامس، إثر بعض الرحلات العلمية من هذه الأرض إلى المشرق، وأخذهم لعلم الكلام، وإتيانهم به، وللكلام تفصيل ليس هذا موضعه.

وأما مصمودة فقبيلة عظيمة ذات بطون تبلغ أربعة عشر ولبعض تلك البطون أفخاذ وفروع.

مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة. وذكر البكري عند الكلام على بونة: أن حولها قبائل كثيرة منها مصمودة.

وأما لمطة فقبيلة كبيرة ذات شعوب كثيرة. وهم إخوة صنهاجة، مواطنهم بالسوس[1] وما يليه من بلاد الصحراء. وأكثرهم مجاورون للملثمين من صنهاجة[2]. قال ابن خلدون: ومنهم قبيلة بين تلمسان وإفريقية[3].

وأما أوريغة فإحدى قبائل البرانس العظيمة ذات بطون كثيرة منها هوارة. وهم ولد هوارة بن أوريغ بن برنس، باتفاق نسابة العرب والبربر ويتفرعون إلى سبعة فروع.

ومواطن الجمهور من هوارة لأول الفتح بنواحي طرابلس وبرقة[4].

وذكر البكري قبائل بربرية تسكن حول تاهرت[5]، منها هوارة تسكن قبلتها وذكر منهم شعبا يسكن مدينة الغدير. وذكر ابن خلدون موطنا آخر لهوارة وهو جبل أوراس مع كتامة ولواتة. هذا آخر ما قصدنا إليه من الكلام على قبائل البرانس.

---

[1] تونس.

[2] مشهورون باستعمال اللثام.

[3] المقصود بها تونس.

[4] بأرض ليبيا. وهي من الأوائل التي فتحت الفتح الإسلامي، كان أول ما وجه إليها سنة ٢٣هـ فجاء الجند العربي بأمر أمير المؤمنين، ونزل بتونس ثم مالوا إلى ليبيا، وثم كان بعد ذلك فتحها.

[5] التي هي تيارت، وهي أيضا منطقة عريقة قديمة، وبها علماء، لكن مرت عليها فترة تمركز فيها أصحاب البدع، وسيأتي ذلك إن شاء الله لاحقا.

وقد كان للواته وضريسة من قبائل البتر بطون استوطنت الجزائر أيضا. ولواتة قبيلة عظيمة تنتسب إلى لوا الأصغر- وهو نفزاو- بن لوا الأكبر بن زحيك. ولها بطون سبعة منها مزاتة وهي أوسعها ومنها صدراتة[1]، وت ما نفزاوة. ومواطن لواتة في القديم بنواحي برقة وطرابلس إلى قابس.

قال ابن خلدون: "وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة .. ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكتامة[2]". وقال أيضا: "وكان من لواتة هؤلاء أمة عظيمة. بضواحي تيهرت إلى ناحية القبلة وكانوا ظواعن[3] هناك على وادي ميناس".

وقال أيضا: " ومنهم أيضا بضواحي بجاية قبيلة يعرفون بلواتة ينزلون ببسيط تاكرارت ".

وبطن مزاته منهم كانت له مدينة بلزمه على ما ذكر البكري. وبطن صدراته ذكر البكري أنهم حول بسكرة ولصدراته اليوم قرية معروفة بهم في أعالي وادي سيبوس. ونفزاوة هم بنو تطوفت بن نفزاو بن لوا الأكبر بن زحيك.

وكانت لعهد الفتح العربي من القبائل ذات الكثرة والقوة، ولها تسعة بطون منتشرة في جهات من طرابلس وتونس ومركزها بالجزائر في شرق عمالة قسنطينة.

ومن بطون نفزاوة ولهاصة. وهي تقطن حيث تقطن كومية.

وأما ضريسة فمن بطونها بوطن الجزائر: بنو فاتن، زواغة، زواوه، مكناسة، زناتة.

بنو فاتن هم أبناء فاتن بن ممصيب بن ضريس، ويتشعبون إلى عشرة شعوب: مطغرة، لماية، مطماطة، مديونة، كومية، مغيلة[4]، ملزوزه، دونة، كشانة، صدينة.

---

[1] لا تزال سدراتة في الشرق، منطقة اسمها سدراتة، واللقب سدراتي. هو كتبها بالصاد هنا ولكن المشهور بالسين، إذا رحت للشرق تجدها بالسين، اللافتة التي قرأتها بالسين.

[2] يمكن لأهل الشرق إذا اتبعوا الآثار يجدون أبناء أعمامهم في تونس وليبيا وهكذا من الغرب.

[3] جمع ظاعن وهو المستقر المقيم.

[4] المغيلة مشهورة وينسب إليها المغيلي، ومنهم أحد العلماء في القرن السابع عبد الكريم المغيلي، جمعت مؤلفاته في "مجموعة عبد الكريم المغيلي" في خمس مجلدات وعندي نسخة منه، له كتب في النحو والصرف، والمنطق، ولسالتان

وبنو فاتن منتشرون في الغرب تلوله وصحرائه يلون صنهاجة غربا على الساحل الوهراني ومنتشرون في داخل العمالة.

فأما مطغرة فقد كانت ذات قوة وكثرة لعهد الفتح العربي تقطن ما بين فاس[١] وتلسمان، وتتقدم إلى جهات شلف وجبل بني راشد[٢].

ومن مدن مطغرة قرية تدعى "جليداسن" وهي على مرحلة من تنس مطلة على فحص شلف[٣]، ومنها تاجريت قرية على البحر الرومي بساحل وجدة، وذكر ابن خلدون منهم رهطا بالصحراء يقطنون قليعة والي. وهي المعروفة اليوم بالقليعة ويقولون فيها أيضا: المنيعة.

وأما لماية فلها افخاذ كثيرة، كانوا ظواعن بإفريقية وجمهورهم بالمغرب الأوسط. ومن مراكزهم به جبل جزول ونواحي وانشريس[٤].

وبطن لماية هو الذي نزل عليه عبد الرحمن بن رستم حينما فر من القيروان إلى المغرب الأوسط، وأسس دولة فيما بعد من غرر دول الجزائر.

وقد انقرضت لماية بانقراض ملك الرستميين وتفرقت أوزاعا في القبائل.

مختصرتان في الفرائض، وفي فنون أخرى، وهو مشهور له فتوى أقامت عليه الدنيا، وهي تتعلق باليهود في الجنوب، أفتى بفتوى ترتب عليها طردهم وإبعادهم فقاموا عليه الناس، وكانت لها أثر عظيم، مغيلة ينسب إليها المغيلي وعلماء كثر.

[١] بأرض المغرب يعني.

[٢] جبل بني راشد جهة شلف أيضا وهو موجود، في الطريق السريع تجد لافتة بو راشد.

[٣] تنس أيضا منطقة معروفة بالعلم، وفيها مازونة من تنس، أحد علمائها المازوني له كتاب "الدرر المكنونة في نوازل مازونة" ست مجلدات، في فتاوى نوازل كانت تنزل ذاك الزمان، فيسأل عنها في منطقته، وتأتيه رسائل من خارج فيجيب عنها، في ستة أجزاء، موجودة عندي أيضا.

[٤] معروفة الونشريس جه تيسمسيلت، وفيها علماء كثيرون، منهم الونشريسي صاحب "**المعيار**" جمع فيه الفتاوى، مسائل يسأل عنها فيجيب، ويفتي فيها وينقل عن غيره، وله كتاب في قواعد فقه مالك، اسمه "**إيضاح المسالك في قواعد الإمام مالك**" مطبوع أيضا، ونظمه ابنه عبد الواحد، هو اسمه أحمد بن يحيى، نظمه ابنه في قواعد الفقه المالكي، فهو له كتاب في قواعد فقه مالك، وابنه نظمه في منظومة طويلة، عندي منها نسخة مخطوطة في قواعد الفقه المالكي، فالإمام الونشريسي معروف من علماء القرن التاسع وبداية القرن العاشر توفي سنة ٩١٤هـ

قال ابن خلدون: " ومنهم جربة الذين سميت بهم الجزيرة البحرية تجاه ساحل قابس. وهم بها لهذا العهد".

وأما مطماطة فهم شعوب كثيرة أيضا متفرقة في نواحي المغرب كله. ومركزهم بالجزائر بتلول منداس عد جبل وانشريس وجبل جزول من نواحي تيهرت.

وأما مديونة فانها تقطن نواحي تلمسان إلى جبل مديونة غربا وجبل بني راشد شرقا. وفي جوارهم شرقا بنو يلومي وبنو يفرن، وغربا مكناسة، وشمالا على السواحل كومية وولهاصة.

وأما كومية- ويعرفون قديما بصطفورة- فلهم بطون ثلاث: ندرومة[1]، مغارة، بنويلول، ومن هذه البطون تفرعت شعوب كومية وتعددت قبائلهم ومواطنهم قال ابن خلدون: على ساحل تلمسان وارسكول.

ولعل أرسكول هي القرية التي ذكرها البكري بلفظ أرشقول عند مصب نهر تافنا في البحر. وذكر البكري من حصونهم حصن هنين على البحر.

وأما مغيلة فانها تقطن بالشاطئ الأيمن من شلف عند مصبه في البحر ولهم مدينة على البحر تدعى " آسلن " بساحل تلمسان. قال البكري: "وهي مدينة قديمة عليها سور صخر .. ولها نهر يصب في البحر من شرقيها ".

ويساكن مغيلة إخوتهم من ملزوزة ودونة وكشانة. ومن ساحلهم اجتاز عبد الرحمن الداخل[2] إلى الأندلس وبذر بذور حضارة كانت من بعد المثل الأعلى.

هذا آخر قول في أبناء فاتن ملتزما فيه الإيجاز.

واما زواوه فهي قبيلة عظيمة تتشعب الى شعوب عظيمة عرف منها

---

[1] مدينة ندرومة معروفة ضواحي مغنية، وفيها العلماء منها أحدهم ينسب إليها الندرومي، له بعض التآليف.

[2] صاحب الدولة الأموية بالأندلس، الذي سماه أبو جعفر المنصور سماه بصقر قريش.